الأهرام

المصدر : الحياه

التاريخ : ١٩ اكتوبر ٢٠٠١

وقائع سنوات الجهاد: رحلة "الافغان العرب" من كل مكان إلى واشنطن ونيويورك (٣ من ٥)

الخلاف بين اقطاب "الجهاد" و "الجماعة" والصراع في أفغانستان

□ تفجر الخلاف في السجن بين الراديكاليين الإسلاميين مطلع الثمانينات. وانفصلت جماعة «الجهاد» عن «الجماعة الإسلامية»، وتكرس ذلك بعد الافراج عن عدد من أقطاب الجماعتين. وانتقل أيمن الظواهري إلى أفغانستان، لكنه بقي على اتصال وعبود الزمر الذي أصبح رمز التنظيم وقائده الروحي.

وسرعان ما توطدت العلاقة بين الظواهري وأسامة بن لادن، وبدأ وجود «الجماعة الإسلامية» يتكثف في بيشاور بدءاً من ١٩٨٧، وأصدرت نشرة في عنوان «المرابطون» غلب عليها الطابع الفكري الأصولي.

وبعدما هزم السوفيات ودب الخلاف في صفوف المجاهدين، أصبح «الأفغان العرب» في حيرة من أمرهم، وبدأوا التفكير بتصدير «جهادهم» إلى دولهم الأصلية.

□ القاهرة - محمد صلاح

■ فيما كان «الإخوان» يمارسون نشاطهم «الإغاثي» في بيشاور في النصف الاول من الثمانينات كانت سنوات السجن كالمحنة بالنسبة الى قادة تنظيمي «الجهاد» و«الجماعة الاسلامية»، إذ انهار التحالف بين التنظيمين، بعد تفجر الخلافات بين قادتهما داخل السجن، فقد اعترض اقطاب «الجهاد» على عملية اسيوط التي راح ضحيتها عشرات القتلى من اعضاء الجماعة والشرطة ووقعت في اليوم الثاني لاغتيال السادات، ورأى هؤلاء أن العملية «خرجت عن اهداف الجماعة والغاية التي تسعى اليها»، وانها «اتسمت بالعشوائية في قتل رجال الشرطة»، ما دعا الدكتور عمر عبدالرحمن الى دعوة عناصر «الجماعة» ممن شاركوا في عملية اسيوط الى صوم «كفارة القتل» ٦٠ يوماً، واستمر الجدل فترة داخل السجن وحدثت مواجهة بين اقطاب «الجهاد» واقطاب «الجماعة الاسلامية» الذين دافعوا عن العملية، إلا ان موقف عبدالرحمن واصداره الأمر بالصيام خففا من حدة الخلاف لكن آثاره بقيت، خصوصاً أن اقطاب «الجهاد» راوا ان ذلك يثير علامات استفهام في طريقة تفكير «الجماعة الاسلامية». لكن برز خلاف آخر والاخطر حين اعترض بعضهم على ولاية عبدالرحمن وهو ضرير على التنظيم، وطرح المسالة بقوة وصرامة عصام القمري وايمن الظواهري، وفي حين كان الأخير يتسم بالمرونة والهدوء، كان القمري حاداً ورفض النقاش في الموضوع، واصر على رايه، وكان موقف عبود الزمر أقل حدة، والحقيقة ان مجموعة القمري والظواهري التي كانت تميل الى السرية التامة في العمل ولم تشارك في احداث ١٩٨١ ولم يطلع اعضاؤها على مسالة ولاية عبدالرحمن الا داخل السجن وفوجئوا بها ورفضوها تماماً على اساس أن القواعد الشرعية للإمامة «العظمى» تشترط وتستلزم سلامة الحواس، كما أن مسالة وجود جناح عسكري للتنظيم تستلزم في الأمير أن يكون صالحاً لتدبير العمليات العسكرية واختيار منفذيها ومتابعتها، ويبدو ان قادة «الجهاد» كانوا وافقوا على ولاية عبدالرحمن باعتبارها فقهية شرعية فقط، بمعنى أن يضطلع بالافتاء ويتم من خلاله الاسترشاد بالاحكام الشرعية، على أن يكون محمد عبدالسلام فرج هو القائد الحقيقي بصفته رئيس مجلس الشورى.

ووسط الجدل داخل السجن قيل ان تمسك الجماعة بإمارة عبدالرحمن يعود الى اقتناع اعضائها بانه عالم ازهري كبير السن يحقق مكانة اجتماعية تجعل الآخرين يحترمون الجماعة على أساس ان على رأسها عالماً وليس مجرد مجموعة من الطلبة. كما ان التعامل داخل السجن اثبت وجود ثقة متبادلة بين عبدالرحمن وعناصر «الجماعة الاسلامية» وهذا لم يتحقق بينه وبين عناصر «الجهاد». وليس سراً ان عناصر «الجماعة الاسلامية» كان لديهم الاحساس بأن تنحي عبدالرحمن عن الإمارة سيفقدهم ورقة مهمة تحقق لهم الرجحان داخل مجلس شورى التنظيم.

كل هذه العوامل وظروف السجن ادت الى حدوث الانقسام والانفصال بين التنظيمين، وفي نهاية ١٩٨٣ أعلن الانقسام رسمياً بين «جماعة الجهاد» و«الجماعة الاسلامية». وفي ١٩٨٤ خرج عدد كبير من اعضاء الجماعتين من السجن، وطرح كل تنظيم افكاره وبرامجه ومناهجه:

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

«الجماعة الاسلامية» من جهتها طرحت «منهاج العمل الإسلامي» وطبعته ووزعته وكان يعتبر منهاجها ودستورها، وكان أعده داخل السجن ثلاثة من قادتها هم ناجح ابراهيم وعاصم عبدالماجد وعصام دربالة.

أما «جماعة الجهاد» فطرحت «المنهاج الحركي لجماعة الجهاد» الذي اعده عبود الزمر وشارك في إعداده الفلسطيني عصام مطير الذي تولى بعد خروجه من السجن مع مجدي سالم مهمة متابعة نشاط مجموعة عبود الزمر.

في الوقت نفسه كان الظواهري يحاول جمع شتات مجموعته بالتنسيق مع مجموعة الزمر، واتخذ اقطاب «الجهاد» من مسجد «النور» في منطقة العباسية مركزاً لنشاطهم ونجحوا في ضم اعضاء جدد اليهم، وعلى صعيد آخر حاولت «الجماعة الاسلامية» مد جذورها ووجودها ليشمل الوجه البحري والقاهرة بعدما دانت لها السيطرة في الصعيد، ودفعت بمحمد شوقي الاسلامبولي للإقامة في القاهرة فانتقل للسكن في حي عين شمس، واتخذ من مسجد آدم مقراً لنشاطه، ونجح في ضم اعداد كبيرة الى الجماعة، وتحرك الاسلامبولي في الجامعات وكان حضور الدكتور عمر عبدالرحمن المؤتمرات الجامعية اثر في تدعيم «الجماعة الاسلامية» واكتسابها اعضاء.

انتشر ذلك التنظيم في مناطق عدة خصوصاً في امبابة وعين شمس ومناطق اخرى في الوجه البحري، ومع ترحيل عصام مطير تاثرت حركة الجهاد، خصوصاً بعد سفر الظواهري الى بيشاور ومعه عدد من القادة مثل عادل السيد عبدالقدوس وأحمد سلامة مبروك. لكن على رغم ذلك ظل التنسيق قائما بين الظواهري وعبود الزمر حتى بعد سفر الأول إلى بيشاور الى ان تحقق الدمج الكامل بين مجموعة الظواهري ومجموعة الزمر عام ١٩٩٠، واتفق على ان يكون الظواهري قائد الجماعة والزمر رمزها وقائدها الروحي.

في ١٩٩١ خرجت «جماعة الجهاد» بورقة أعدها الزمر نادى فيها بتحقيق اندماج بين كل الجماعات الدينية ذات العقيدة الصحيحة وعلى راسها «جماعة الجهاد» و«الجماعة الاسلامية» وجماعة «الاخوان المسلمين»، ودعا الى تكوين «مجلس شورى عام» يضبط ايقاع عمل كل الجماعات. واستبعد الزمر في دعوته الجماعات التي تصطدم عقائدياً بالجماعات الدينية وبالتحديد «التكفير والهجرة» و«الشوقيين»، الا أن الممارسة افشلت دعوة الزمر ولم تحقق صدى ايجابياً.

وطرحت «جماعة الجهاد» في ما بعد ورقة تتعلق بضرورة العمل العلني والجماهيري والاعلامي يوازي العمل العسكري. واتفق على أن يكون هناك فصل تام بين العمل السري والعمل العلني. وأن يكون لكل جناح اعضاؤه وعناصره ووجود فصل تام بين الجناحين على مستوى القواعد، لكن الزمر اتخذ قراراً منفرداً بقبول ولاية الدكتور عبدالرحمن، وعاد الى مجلس شورى «الجماعة الاسلامية» وترك طواعية العمل في صفوف «الجهاد».

عندما وصل الظواهري الى بيشاور كان يعرفها تماماً فهو كان زارها عام ١٩٨٠ ومكث فيها بضعة شهور وسريعاً توطدت العلاقة بينه وبين اسامة بن لادن، لكن الاثنين اتفقا على أن يكون العمل التنظيمي منفصلاً بحيث يظل تنظيم «القاعدة» وعاء يجمع عناصر من جنسيات مختلفة من العرب، لا ينتمون الى اي تنظيم، وأن تظل «جماعة الجهاد» قاصرة على المصريين فقط.

وحتى بداية ١٩٩٠ لم يكن لأعضاء الجماعات الراديكالية نشاط كبير داخل مصر باستثناء بعض الحوادث الفردية لاعضاء في «الجهاد» قاموا خلالها بحرق بعض المسارح عام ١٩٨٦، اضافة الى محاولات اغتيال وزيري الداخلية السابقين نبوي اسماعيل وحسن ابو باشا والصحافي مكرم محمد احمد، التي نفذها عناصر من تنظيم «الناجون من النار» الذي كانت افكاره تشبه افكار ومبادئ جماعة «التكفير والهجرة».

لكن نشاط الراديكاليين شهد تحولا كبيرا نحو التصعيد قبل نهاية ١٩٩٠ اثر مقتل المتحدث باسم «الجماعة الاسلامية» الدكتور علاء محيي الدين، عندما اطلق مجهولون عليه النار اثناء سيره في احد شوارع منطقة الطالبية في حي الهرم، واتهم التنظيم اجهزة الأمن بتنفيذ الحادث وقرر تنفيذ عملية انتقامية تستهدف وزير الداخلية آنذاك اللواء عبدالحليم موسى، فكمنوا لموكبه في حي غاردن سيتي امام فندق سميراميس في تشرين الاول (اكتوبر) من العام نفسه الا انهم اخطاوا الموكب وهاجموا موكب الدكتور رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب وقتلوه. وتبين للمرة الأولى أن بعض المتهمين كان تدرب في افغانستان.

وبعد الحادث بدت في الأفق بوادر صدام متصاعد بين الشرطة و«الجماعات الراديكالية» ووقعت معارك متفرقة بين الطرفين في محافظات عدة، من بينها الصدام الشهير بين «جماعة الشوقيين» في محافظتي الفيوم وبني سويف وقوات الأمن.

وفي ١٩٩٢ بدأت دائرة العنف تتسع وتفجر الموقف في مدن الصعيد بعد الشرارة الأولى في قرية صنبو التابعة لمدينة ديروط في محافظة اسيوط، عندما قتل اعضاء في «الجماعة الاسلامية» ١٣ مسيحياً لتسري نار العنف وتنتشر بين محافظات الصعيد، وقتل الضباط والجنود في الشوارع وتواصلت حملات الشرطة على الأوكار التي اوى اليها اعضاء الجناح العسكري لتنظيم «الجماعة الاسلامية» في مدن الصعيد، وصار من النادر أن يمر يوم من دون أن نسمع عن حادثة راح ضحيتها ضابط او شرطي او اكثر او عدد من اعضاء الجماعات الدينية.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

غير أن المواجهات دخلت منعطفاً خطيرا عندما انتقل نشاط الجماعات الدينية الى القاهرة ووقعت التفجيرات الشهيرة وحادثة اغتيال الكاتب فرج فودة، وعمليات اغتيال عدد من كبار ضباط الشرطة وضرب السياحة ومحاولة اغتيال وزير الاعلام صفوت الشريف، ثم نجيب محفوظ.

والملاحظ أن كل تلك العمليات نفذها اعضاء في «الجماعة الاسلامية» مما طرح تساؤلات عن اسباب اختفاء جماعة «الجهاد» حتى وقعت محاولتا اغتيال وزير الداخلية اللواء حسن الالفي، ورئيس الوزراء الدكتور عاطف صدقي في النصف الثاني من عام ١٩٩٣.

وقبل ذلك التاريخ وتحديداً في كانون الثاني (يناير) من العام نفسه كانت اجهزة الأمن ألقت القبض على ٨٠٠ من اعضاء الجهاد في القاهرة والوجه البحري قسموا الى مجموعتين: قدمت الأولى الى القضاء العسكري في اربع قضايا حملت اسم «طلائع الفتح» وصدرت قرارات باعتقال الباقين، وتبين أن من بين المتهمين عناصر تم تدريبهم في افغانستان.

هكذا طرحت قضية «الافغان العرب» نفسها وظهر أنه خلال فترة الجهاد الافغاني ضد الاحتلال السوفياتي (١٩٧٩ - ١٩٨٩) استقطبت افغانستان ومدينة بيشاور الباكستانية اعداداً كبيرة من الاسلاميين غالبيتهم من المصريين، وهناك تشكلت من جديد قواعد وأسس تنظيمي «الجماعة الاسلامية» و«جماعة الجهاد».

ووفقاً لأقوال الاصوليين انفسهم فإن الوجود المكثف لـ«الجماعة الاسلامية» في بيشاور ثم افغانستان، بدأ عام ١٩٨٧ مع وصول ثلاثة من قادة التنظيم هم محمد شوقي الاسلامبولي وعلي عبدالفتاح ورفاعي طه، وفي العام التالي زارهم الدكتور عمر عبدالرحمن. واصدر التنظيم نشرة «المرابطون» الشهرية التي صدر العدد الاول منها في أيار (مايو) ١٩٩٠ وغلب على اعدادها الاولى الطابع الفكري التاصيلي، بعيداً عن التحليلات والتقارير الصحافية التي حفلت بها صفحاتها في مراحل تالية. وراس تحرير النشرة طلعت فؤاد قاسم الذي عرف في ما بعد باسم «ابو طلال القاسمي».

ومع وصول الشيخ عبدالرحمن ثانية في حزيران (يونيو) ١٩٩٠ الى بيشاور اجرت «المرابطون» مقابلة معه تحدث فيها عن ظروف سجنه داخل مصر، وفي تلك الفترة اقتصر نشاط «الجماعة» على سياسة التجميع، وكان العمل الجبهوي اقرب الى العمل الحزبي النخبوي، ربما بسبب قيادتها «الصعيدية» باعتبار أن ابناء الصعيد يتميزون بالانفتاح والشعبية، فانشات دار ضيافة في بيشاور لاستقبال العناصر الوافدة من مصر.

وبدأت اواخر ١٩٩٠ بتدريب عناصرها في مخيمات خاصة داخل الاراضي الافغانية واشرف عليها شاب مصري يدعى صهيب الذي قتل بعد ذلك في معارك جرت في منطقة بغان داخل الاراضي الافغانية عام ١٩٩١ ضد القوات السوفياتية.

نشط التنظيم في المجال الاعلامي والدعائي بواسطة اشرطة الكاسيت والفيديو (فيلم الاسلامبولي والبوسنة والهرسك، وثورة الجزائر الثانية) وإثر فوز «الجبهة الاسلامية للانقاذ» في الجزائر في الانتخابات البلدية عام ١٩٩٠ زار وفد من مسؤولي «الجماعة» الجزائر للتهنئة وكان على رأسه محمد شوقي الاسلامبولي.

ومع بداية تفجر الصراع بين عناصر «الجماعة الاسلامية» في الصعيد من جهة، والشرطة من جهة أخرى حرص قادة التنظيم في افغانستان على تنشيط قنوات الاتصال مع عناصر الاجنحة العسكرية داخل مصر، وبدا التنسيق واضحاً من خلال بيانات اصدرتها «الجماعة» من داخل الاراضي الافغانية تتحدث عن نشاط عناصر الداخل.

أما «جماعة الجهاد» فإن نشاطها على الاراضي الافغانية كان اكثر كثافة، وربما كان خروج الظواهري مبكراً من مصر عام ١٩٨٥، ووصوله الى مدينة بيشاور التي اتخذها مركزًا لنشاطه سبباً في ذلك، كما أن العلاقة الوطيدة التي نشات بين الظواهري واسامة بن لادن ربطت مصير الاثنين وفتحت مجالات اوسع امام عناصر الجهاد للعمل على الاراضي الافغانية.

ووفقاً لاعترافات المتهمين في قضايا العنف الديني ممن حوكموا أمام محاكم مدنية وعسكرية مصرية فإن عدد المعسكرات التابعة لـ«جماعة الجهاد» في بيشاور وافغانستان فاق كثيراً تلك التي كانت تخص «الجماعة الاسلامية».

ويسود اعتقاد بأن الظواهري ظل طوال السنين الماضية الاكثر قرباً من اسامة بن لادن الى درجة ان بعضهم يرى ان التغييرات التي طرأت على افكار بن لادن كانت بتأثير الظواهري. وعلى رغم أن تنظيم «القاعدة» الذي أسسه بن لادن في افغانستان وضم اصوليين عرباً ظل يعمل منفصلاً عن باقي التنظيمات العربية في افغانستان ومنها «جماعة الجهاد»، إلا أن افغانستان كانت بوتقة انصهر فيها «الافغان العرب». وكانت عودة بن لادن مجدداً الى افغانستان عقب حرب الخليج مقدمة لتعاون وثيق بينه وبين الظواهري، وإن كانت اعترافات المتهمين في قضايا العنف الديني في مصر اكدت أن الأول ظل معترضاً على العمليات التي كان ينفذها عناصر في مصر، نظراً الى كلفتها العالية وعدم جدواها. وعكس خروج الاثنين (بن لادن والظواهري) من افغانستان عام ١٩٩٣ مع عشرات من اعوانهما، إلى السودان مدى العلاقة الوطيدة بينهما.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

واضطلع الظواهري وقتها بمهمة إبعاد انظار الاجهزة الامنية في دول عدة لإتمام عملية الانتقال بنجاح حين لجا الى الحيلة واعلن انه حصل على اللجوء السياسي في سويسرا، فاتجهت الانظار الى هناك في حين كان هو ومعه بن لادن في الطريق الى افغانستان، وحين عادا معاً عام ١٩٩٦ إلى افغانستان مارس الظواهري الحيلة نفسها فاختار بلغاريا بدلاً من سويسرا ليدعي انه وصل إليها.

كان التحول الكبير في تقديم الاثنين عداءهما لاميركا على اي هدف آخر اتفاقهما في شباط (فبراير) ١٩٨٨ على تاسيس «الجبهة الاسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين» التي تضمن بيانها التاسيسي فتوى «توجب على المسلمين قتل الاميركيين ونهب اموالهم».

وكانت علاقة بن لادن والظواهري بغالبية قادة المجاهدين خلال فترة الجهاد الافغاني ضد الاحتلال السوفياتي جيدة. ولم يتغير الامر مع «طالبان»، ويعكس اصرار الحركة على رفض تسليم بن لادن المدى الذي وصلت اليه العلاقة بين الاطراف الثلاثة.

تضاريس وقبائل

كانت بيشاور مركزاً لدور ضيافة اقامها الظواهري لاستقبال عناصره القادمين من مصر ودول اخرى اقامها قادة «الجماعة الإسلامية»، إضافة إلى «مكتب خدمات المجاهدين» التابع لعبدالله عزام، وعشرات من الدور لجماعات وتنظيمات راديكالية تنتمي اساساً الى دول عربية واسلامية عدة، وكانت الأراضي الأفغانية مسرحاً لمعسكرات التدريب التي انتشرت وسط تضاريس معقدة.

هكذا وجد «الأفغان العرب» انفسهم وسط حدود طويلة من الشمال حيث حدود مع الجمهوريات السوفياتية السابقة (طاجيكستان - واوزبكستان - وتركمانستان) وحدود ضيقة من الشرق على اهمية كبرى مع الصين عبر (ولاية باميير - ونورستان). ومن الشرق والجنوب حدود طويلة تمتد لأكثر من الفي كيلومتر مع باكستان، ومن الغرب حيث ايران عاش «الأفغان العرب» وتعاملوا مع بضع وثلاثمئة قبيلة موزعة على أربعة أعراق رئيسية تتكلم لغات مختلفة هي، «البشتون» ويشكلون غالبية السكان ويقطن معظمهم وسط وجنوب افغانستان ويتوزع الباقي من السكان بين «الطاجيك» و«الفرسوان» و«الاوزبك»، وكل هؤلاء من المسلمين السنة. اضافة إلى نسبة من الشيعة في ولاية «باميان»، وتقطن اقلية منهم في أطراف كابول.

ويرتبط كثير من القبائل الباكستانية البشتونية في جوار افغانستان بأواصر قربى وعلاقات باقاربهم في افغانستان. بل إن اقليم «سرحد» وعاصمته بيشاور، يعتبره الافغان من اراضيهم وانه ضم الى باكستان.

وقبل ظهور حركة «طالبان» كانت الاحوال في افغانستان آلت، نتيجة صراع الاحزاب الاسلامية على السلطة، الى حال من ضياع الأمن وانعدام أسباب العيش، وانتشر قطاع الطرق، وعم الفقر والخراب والدمار والاغتصاب والخطف، بشكل جعل الناس تضج وتنتظر اي شكل من أشكال الخلاص. فبحلول ١٩٩٢ كان النظام الشيوعي في كابول اقتصرت سيطرته على بضعة مدن محاصرة بالمجاهدين، وبعض الممرات الحيوية التي تربط العاصمة ببعض الولايات القريبة. وفي الشمال عبر الممرات المؤدية الى موسكو التي كان جيشها على اهبة الانسحاب وترك النظام الشيوعي في كابول ليلاقي مصيره. ونتيجة لحسابات وصراع مصالح بين الحزبين الرئيسيين: «الحزب الاسلامي» بزعامة قلب الدين حكمتيار و«الجمعية الاسلامية» بزعامة برهان الدين رباني وقائده الرئيسي احمد شاه مسعود، ونظراً الى انهيارات عسكرية تعرضت لها قوات نجيب الله دخل قائد الميليشيات الشيوعية في الشمال الجنرال دوستم في تحالف مع احمد شاه مسعود لقطع الطريق على سقوط كابول في أيدي حكمتيار وقواته.

وسقطت كابول وانفرط العقد وتتابع تسليم القوات الشرعية لقيادات المجاهدين المحاصرين في باقي المدن الرئيسية: «جلال اباد، خوست... الخ» وفر نجيب الله ولجا الى مقر الأمم المتحدة في كابول.

ودخلت الاحزاب في صراع على السلطة انحصر في النهاية بين رباني وخصمه العنيد حكمتيار ومن دخل في حلف كل منهما. واستطاع رباني وقائده مسعود التمركز في كابول، ولم يسمح له حكمتيار بأن يهنأ في هذه السلطة يوماً واحداً، وصار هذا الخلاف مدخلاً للشيوعية وبعض الفرق الاخرى، والاقلية الشيعة المدعومة من ايران. كما صار هذان الفريقان مركزاً جديداً للعبة الصراع الاقليمية واطرافها الرئيسية (باكستان - ايران - الهند) والدولية (وعلى رأسها اميركا وروسيا) سحق هذا التطاحن في النهاية أكثر من اربعين الف قتيل من المدنيين راحوا ضحية القصف الوحشي والاقتتال اللانهائي على السلطة عبر سلسلة من التحالفات الغريبة والتناقضات العجيبة التي قامت كلها على أسس قبلية او مصلحية.

زاد الدمار الذي خلفه الشيوعيون وانعكس ذلك على الشعب الافغاني فقراً وعناء وصار مؤهلاً لتقبل اي حل بعدما غاب الأمن وسيطر قطاع الطرق من الشيوعيين السابقين وكبار تجار المخدرات واللصوص وانتشر النهب المسلح والسلب وقطع الطرق وخطف النساء والاغتصاب، بل إن كثيراً من قادة الاحزاب وصغار المجاهدين تحولوا الى لصوص وقطاع طرق استخدموا اسلحتهم لنصب الحواجز الجمركية وربط الحبال على مفارق الطرق لجباية المكوس والضرائب من فقراء الناس واغنيائهم على السواء.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

كان «الافغان العرب» يراقبون ما يحدث وحاول قادتهم الا يكونوا مع طرف ضد آخر وانشغلوا في ممارسة التدريبات وحبك العمل التنظيمي لتحقيق استفادة قصوى من وجودهم في تلك الاراضي الخصبة، ومثلت معركة «جلال اباد» التي وقعت في آذار (مارس) ١٩٨٩ اهم مشاركة للأفغان العرب عموماً والمصريين خصوصاً في الجهاد الأفغاني، وسقط فيها اكثر من ١٨٠ افغانياً عربياً كان بينهم نحو ٤٠ مصرياً. وتسببت المعركة في خلافات بين الظواهري وبعض اتباعه ممن عارضوا المشاركة فيها وكانوا يفضلون الهجوم مباشرة على كابول.

اما كيف تم تسفير العناصر من مصر الى افغانستان فإن مهندس التسفير في جماعة «الجهاد» وهو الاسم الذي اطلق على اسماعيل نصر الدين الذي يقضي حالياً عقوبة بالسجن ١٥ سنة في قضية «طلائع الفتح» ليقول:

«بدات التزامي تقريباً عام ١٩٧٦ وكان لدي شغف بقراءة الكتب الشرعية والمجلات الإسلامية واستمر الوضع على هذه الحال طوال دراستي في كلية الهندسة (جامعة الاسكندرية، قسم ميكانيكا هندسة إنتاج)

وانهيت الدراسة عام ١٩٧٩، ورجعت الى القاهرة ومكثت من دون شغل حتى ١٩٨٠/٨/٢٣ وهو تاريخ تعييني في مصنع للمعدات، وفي تلك الأثناء وقعت أحداث الزاوية الحمراء، وهذا كان مثار اهتمامي وشغف بالنسبة إلي لأني كنت أريد أن أعرف ما الذي يحدث في البلد، وفي هذا الوقت كنت أتردد على مسجد الفتح في منطقة الإمام الشافعي، والذي كان يلقي الخطب فيه والمسؤول عنه الشيخ اسامة عبدالعظيم، وكان نبيل نعيم احد قادة الجهاد (موجود حالياً في سجن طره) يتردد على المسجد فتعرفت إليه، وهو حدثني عن فكر «الجهاد» والذي كان يقوم على أن نظام الحكم كافر ولابد من جهاده، وبدأت اقرا فكر الجهاد في الكتب الشرعية مثل «المُغني» و«ابن كثير» و«أبواب الجهاد» في كتاب «صحيح البخاري»، ثم جاءت أحداث اغتيال السادات وانقطعت عن نبيل نعيم بسبب اعتقاله وبدأت اتحرك لوحدي، وتعرفت على شخص يدعى عبدالرؤوف امير الجيوش (موجود حالياً في سجن طره) عن طريق زميل لي في المصنع يدعى محمد علاء، وقال لي عنه إن فكره كويس، وتقابلت مع امير الجيوش في مسجد الفتح كما كان يحضر لي في المنزل وداومت على لقائه لمدة سنتين من سنة ١٩٨٣ او ١٩٨٤ تقريباً، ولكن لم اقتنع به وكنت التمس الاستفادة منه ولكن للأسف كانت محدودة لأني كنت اقابله كل ثلاثة او اربعة شهور مرة، وكان دائماً يركز في كلامه على «الدعوة» في فكر الجهاد، وفي ١٩٨٥ انقطعت اتصالاتنا لأنه كان يشعر إني ما بعملش حاجة فهو كان يطلب مني تجنيد أفراد دون أن يلقى مني استجابة لأني لم اكن مقتنعاً به، ومن العام ١٩٨٥ بدأت انشط من نفسي وبدأت

اصنع مسدس (٩مم) من خلال عملي في المصنع فالخامات كانت موجودة كاجزاء وكان لي زميل يدعى مجدي عبدالمقصود اخ ملتزم واقنعته بفكر الجهاد وهو كان يعمل في المصنع ايضا فطلبت منه أن يحضر لي كمية من مادة «T.N.T»، وفعلاً احضر لي كمية حوالى ٢ كيلوغرام تقريباً، وكان معي زميل آخر في المصنع يدعى عبدالله السيد حسن وهذا فني سويتش (عامل هاتف) فدعته إلى فكر الجهاد واقتنع، وكان ذهب إلى عمرة في السعودية وتعرف هناك على شخص اسمه الحركي ابو شهيدة واسمه الحقيقي عبدالله المحارب، كلمه عن الجهاد وان فيه مجموعة في مصر تعتنق هذا الفكر، وكنت أنا في هذا الوقت وضعت بحثاً بعنوان «فاعتبروا يا أولي الأبصار» عن بعض أحداث السيرة التي تخدم فكر الجهاد، وعرض حسن البحث على ابو شهيدة فاعجب به جداً وساله عن كاتبه، وما إذا كان معه أحد يعتنق هذا الفكر، فاخبره بامري. وأرسل معه مبلغ اربعة آلاف دولار لإنفاقها على تسفير شبان للجهاد في أفغانستان، وعندما عاد حسن وحكى لي ما حصل انتهزت الفرصة وسافرت عمرة للسعودية لأن زوجتي كانت تعمل هناك وقابلت أبو شهيدة وتحدثنا عن السفر لأفغانستان وقلت له ممكن أسفر ناس فاعطاني عناوين في باكستان علشان الناس اللي تسافر تروح عليها وهناك يتم تدبير أمر السفر لأفغانستان، وعدت من السعودية وسفرت عبدالله السيد وشقيقه محمد السيد والمهندس مجدي عبدالمقصود زميلي في المصنع الذي كان أحضر لي المفرقعات، وجار لي يدعى أحمد ابو سريع حاصل على دبلوم صنايع وتعرف حسن في السعودية على شخص يدعى علي أبو عبيدة وهو مصري ولا اعرف اسمه الحقيقي حكى له حسن عني فطلب منه أن يقابلني، وعاد حسن مجدداً الى مصر وحكى لي ما حدث وقال إن أبو عبيدة يريد لقائي وانه سيكون في السعودية في شهر رمضان وأعطاني رقم هاتف وقال لي خليك على اتصال بالنمرة دي لحد ما يردوا عليك، وفعلا اتصلت بالنمرة ورد واحد علي وسالته عن ابو عبيدة فقال انه موجود فعرفته بنفسي وقال لي تعال إلى السعودية كي تقابله، وفعلاً سافرت لأداء عمرة والتقيته في مكة وأخذني إلى شقة في منطقة العزيزية وتحدثنا عن الفكر الذي اعتنقه وهو فكر الجهاد، وقلت له إن نظام الحكم لا يحكم بما انزل الله ولا بد من التغيير والتغيير هذا لا يأتي إلا من خلال جماعة والجماعة لا تكون إلا بدعوة الأفراد وتنظيمهم وإعدادهم فكرياً وعسكرياً لتغيير نظام الحكم، واتفقنا على أن أعود الى مصر أدعو أفراداً وأسفرهم الى افغانستان للتدريب واعدادهم واعطوني فلوس لهذا الغرض، وعلى ما أذكر انهم اعطوني ألفي دولار كدفعة اولى، واقمت في شقة العزيزية ثلاثة أيام وكان معانا في الشقة اثنين مصريين غير أبو عبيدة هما ابو عبدالرحمن وأبو جهاد، ولا أعرف باقي اسمائهم، وعدت الى مصر وبدأت اكثف الشغل في عملية دعوة الأفراد، فدعيت واحداً اسمه محمد قطب يعمل معي في المصنع وهو من

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

منطقة ابو زعبل وهو دعا افراداً آخرين منهم عيد بكري وشخته محجوب واسماعيل الشحري، وكان فيه واحد اسمه ربيع من مصر القديمة وتوسمت فيه خيراً لانه ملتزم بالسنة فطلبت من الاخ علاء امين ان يعرفني به فجاء لي البيت وبدات اكلمه واخذ مني فترة حتى اقتنع بالفكر وبدا يدعو الآخرين بمجهوده وبتوجيه مني، ولم اعرف اسماءهم لكن اعرف عددهم وكان امين يتحدث معي عن الموضوعات التي يتكلمون فيها مع بعض وكنت اوجهه لانه كتنظيم لا يصح ان نعرف اسماء بعض.

وبعد ذلك عرفت منه اسمين لشخصين سفرتهما الى افغانستان واحد اسمه حسين والثاني اسمه عماد، وخلال عشرة شهور بعد عودتي من السعودية ولقائي مع ابو عبيدة ولم يكن احد سافر لحد الوقت ده واتصل بي ابو عبيدة عبر الهاتف عن طريق أخ لم أعرفه في ذلك الوقت ولم يكن عندي هاتف في البيت وكنت اعطيتهم رقم الجيران، والاخ ده اتصل بي من داخل مصر وقال انه يريد أن يلقاني وجاء الى البيت وابلغني أن أبو عبيدة يريد لقائي في الخرطوم في السودان واعطاني عنواناً في الخرطوم في منطقة اسمها بشمات وطبعا لم يقل لي اسمه وجاء لي مرة واحدة البيت وذهب ولم اعرف شيئاً عنه.

بعد ذلك سافرت الخرطوم وذهبت الى العنوان وقابلت ابو عبيدة، وكان هناك اشخاص اسماؤهم الكودية نوح وطلحة وابو بكر وجلست هناك حوالى خمسة ايام في شقة لم اخرج منها واخذت دورة تدريبية في الطباعة وعمل الاختام الحكومية وبعدها سافرت الى افغانستان لمدة اسبوع اقمت خلالها في معسكر على الحدود بين باكستان وافغانستان وقابلت اخوة لم أعرفهم دربوني على استخدام الاسلحة والبندقية الآلية ولمحة نظرية عن استخدام المفرقعات، وعدت من المعسكر الى بيشاور في انتظار العودة الى مصر ومكثت حوالى ثلاثة اسابيع وتعرفت هناك بشخص اسمه الدكتور عبدالعزيز جلس معي حوالى نصف ساعة وبعدما عدت الى مصر عرفت انه ايمن الظواهري، وفي نهاية الثلاثة اسابيع جاء لي ابو عبيدة واعطاني شيكاً بخمسمئة دولار على اساس ان افتح حساباً باسمي في بنك عمان المحدود في القاهرة على ان يرسلوا لي حوالات مالية على ذلك الحساب وهم بالفعل ارسلوا لي حوالى ١٣ الف دولار على الحساب وادخلت هاتفاً في منزلي واتصل بي ابو عبيدة بعد حوالى خمس شهور تقريباً من رجوعي من افغانستان، وقال ابعث لنا الناس اللي عندك، فطلبت من محمد قطب الناس اللي عنده علشان اشوفهم واشوف مدى استيعابهم للفكر وفعلا عملت معاهم لقاءات منتظمة في بيوتهم في ابو زعبل ووجدتهم جاهزين، ورتبت لهم السفر الى السودان ومن هناك سافروا الى افغانستان لمدة ستة شهور تقريباً وفي خلال الشهور الستة بدأ واحد يتصل بي اسمه عصام قال انه من طرف ابو عبيدة وطلب مني تجهيز مجموعات اخرى وفعلاً كلفت مع محمد قطب وبدا يبعث لي افراداً آخرين واستطعت تسفير حوالي ١٨ شخصاً آخرين أذكر منهم محمد علي خليل وطارق الفحل وهشام صيام وحسن صيام وسيد صلاح وايمن عبدالرازق وامين عقل ومحمود مصطفى ومحمد حسن وواحد اسمه بدير وهؤلاء كلهم من منطقة ابو زعبل وحدها. وآخر مجموعة سافرت منذ سنة تقريباً وكانوا يسافرون عن طريق السعودية او تركيا، وبعد ذلك توقفت عملية السفر لأن من وجهة نظري ان مشكلة افغانستان بدأت تنحل والمعسكرات هناك كانت بتتصفى ولذلك لم يطلبوا ناساً للسفر. وبعد ذلك عاد الاخوة من افغانستان واقتصر نشاطي على القراءة وتبادل الكتب لأني لم أجد شيئاً اشغل الناس به، وكان عصام يتصل بي واطمئنه عليهم وابلغه انهم بخير وانهم بدأوا يملون لأنهم اصابهم ملل واحباط لأن من المعروف ممنوع تحصل اعمال فردية ولكن المفروض يحصل عمل جماعي واحد في وقت واحد بعد اعداد العدة لان الأعمال الفردية ضررها اكثر من نفعها وهذا أمر معروف. ومن حوالى ثلاثة اشهر تقريبا اتصل بي عصام وقال لو عندك ناس يريدون العمل بالخارج ممكن نرسل لك ناشيرات لهم وفعلا سافر محمد قطب الى تنزانيا ومحمد حسن ذهب الى البانيا وواحد اسمه زين العابدين عباس واسماعيل الشحري ذهبوا الى تايلاند».

هكذا يظهر من كلام نصر الدين ان رحلة «الافغان العرب» لم تقتصر على انتقالهم من بلادهم الى افغانستان وان الاصوليين الراديكاليين اتخذوا منها مركزاً للانطلاق إلى بلادهم او إلى دول اخرى.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية